عام على غازي عاد... الوسام وحده لا يكفي!

منال شعيا

المصدر: "النهار"
15تشرين الثاني 2017 | 12:11

16تشرين الثاني 2016. في مثل هذا اليوم، استسلم غازي عاد للمرة الاولى في حياته. قبل عام، مات غازي وترك أهالي المعتقلين في السجون السورية وحدهم .

من على كرسيه، حرّك قضية المعتقلين، لا بل خلق للقضية معنى واستمراراً وحياة. بات اسم غازي عاد مرادفاً لهمّ أهالي المعتقلين ومعاناتهم.

قداس وذكرى

عام على رحيل غازي. وفي الذكرى، يقيم الأهل والاصدقاء والمحبون وجمعية "سوليد" قداساً السادسة مساء السبت المقبل، في كنيسة سيدة الحبل بلا دنس – الدليبة. 33 عاماً، ناضل غازي مقعداً. وهو الذي مدّ كل من عرفه، بالتفاؤل والتصميم والنضال.

يقول شقيقه جهاد لـ "النهار": "في الذكرى السنوية الأولى لغازي، لا جديد في القضية، ولا تطوّر. يا للاسف، كأن الزمن دوماً ليس في مصلحة هذه القضية."

قبل عام، وفي يوم دفنه، منح رئيس الجمهورية ميشال عون غازي وساماً، ومنذ ذلك التاريخ، قلّة من الرسميين تذكر غازي، وقلة منهم أثارت قضية المعتقلين. كأن القضية ماتت معه، وكأن معاناة آلاف الأمهات انتهت. في وقت، لا تزال المآسي هي نفسها والمرارة تحفر عميقاً جداً في القلوب والنفوس.

يكشف جهاد انه بعد قداس السنة، ستتلى شهادات حية عن غازي وسيتم الاعلان عن مجسّم لغازي سيوضع بالقرب من منزله في الدليبة، والمبادرة تأتي من شقيقه وافراد العائلة. وفي اليوم نفسه، ستكون رئيسة "لجنة اهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان" وداد حلواني برفقة عدد من الأمهات والناشطين في الخيمة، حيث ستضاء الشموع على نية غازي.

"شو بدّي قول عن غازي". يبادرك جهاد: "يا ريت هو معنا. اشتقنالو كثير. يا ريت، غازي بيننا يشوف شو صار بالقضية. القضية موجودة بس وين المعالجة."

في 10 كانون الاول 2015، وتحديدا في ذكرى اليوم العالمي لحقوق الانسان، قرّر غازي إزالة خيمة الاعتصام رمزياً من ساحة رياض الصلح. كانت هي المرة الاولى التي يقول فيها غازي كلمة تعب. قال: "الاهالي تعبوا، كذلك الامهات. ربما المسؤولون اعتادوا مشهد الخيمة، ولن يحرّكوا ساكناً. لا بد من صدمة اخرى جديدة."

...ولكن فات غازي ان الطبقة السياسية، الحالية والسابقة، لم تضع يوماً هذه القضية الحساسة في سلّم اولوياتها. فمن كان في المعارضة، وبات اليوم في الحكم، لم ينقل معه سيف القضية من كتف الى اخر. بل نساها أو تناساها وسط تراكم الازمات وتواليها.

في احدى المرات، قال عاد: " 11 عاما مرت... لم يترك اهالي المعتقلين أي وسيلة سلمية للاحتجاج والتعبير والمطالبة بحقهم في معرفة مصير احبائهم. ما قام به الاهالي من تحركات احتجاجية ونشاطات ومؤتمرات في ظل ظروف مناخية قاسية، صيفا وشتاء، وفي ظل ظروف سياسية، اقسى من التهميش والوعود الكاذبة، يستحق كل

التقدير والاحترام والاعتزاز بهذا المثال الذي جسدوه للمرأة اللبنانية المناضلة والقادرة على مواجهة كل التحديات، من اجل الوصول الى حقها وحق عائلتها في معرفة مصير الذين انتزعوا من وسطنا، بقوة الشر وبجريمة ضد الانسانية لا ترحم الضحية ولا اهل الضحية."

في وجه كل الاهمال الرسمي والتجاهل، كان يعي غازي أن "العمل الجدّي لملف المعتقلين والمخفيين يبدأ من نقطة واحدة وهي تشكيل هيئة وطنية واقرار قانون المفقودين في مجلس النواب". هذا القانون الذي لا يزال في الادراج، فلا "تشريع الضرورة" ولا الجلسات العامة قد "مرّت" على هذا القانون.

عمل جدّي

قصة غازي مع النضال قديمة. كأن قدر هذا الرجل كان خوض المعارك مع الحياة. عام 1983 كان مفصلياً. تعرّض غازي لحادث سير مروّع في بلدة فيطرون، سبب له كسراً في الفقرة الخامسة في الرقبة والعمود الفقري أدى الى شلل رباعي. كان يعي ان قوة ما ستنتشله من ذاك الخوف والقهر. وهذا ما حصل.

أكمل حياته بعناد. عام 1989، بدأ المشوار. أطلق حملة وطنية عبر وسائل الاعلام بناء على تقرير خاص عن التعذيب في السجون السورية على يد القوة الأمنية السورية، وبهدف جمع المعلومات عن المعتقلين اللبنانيين والمخفيين وتوحيد اهلهم حول القضية، ولدت "سوليد"... وبات غازي "بنك المعلومات" في هذا الملف الانساني.

عام تلو الآخر، ولم يجهل غازي كيف يحرّك القضية. كان يجيد تحديد البوصلة. لم يركض يوما خلف الاضواء ولم يتلهَّ بتحركات او بنشاطات موسمية، بل كان هدفه أساسياً – مركزياً: عالجوا قضية المعتقلين. ولهذه الغاية، لم يترك وسيلة. هو لم يخف من اثارة قضية المقابر الجماعية، ولطالما طالب بتحديد شبه خريطة أولية لهذه المقابر تترافق مع مسح ميداني للمقابر المحتملة، تمهيداً لنبشها، تماما كما حصل مع "مقبرة اليرزة"، حين استطاعت "النهار"، وبمساعدة غازي ومسعفين سابقين من الصليب الاحمر، من اثارة القضية عبر تحقيق نشر في 13 تشرين الاول 2005. يومها، ادّى العمل الى نبش المقبرة، بعد ايام، والعثور على نحو 22 جثة، كانت تعود لافراد من الجيش اللبناني، وكان يعتقد اهلهم انهم معتقلون في سوريا.

اليوم. الامهات تعبن. في الخيمة، مرّ عليهن اكثر من شتاء بارد وصيف حار. وبعد ازالة الخيمة، لم يذكرهن احد. لا جديد.

على مراحل، اثّرت بهن ضربة تلو اخرى. ماتت اوديت سالم، تلك الام التي دهستها السيارة وهي في طريقها الى الخيمة، لتطالب بولديها المعتقلين. فقدن الكثير من الامهات الرفيقات اللواتي تجمعهن المصيبة. واخيرا، مات غازي عاد فكانت الضربة الاكثر وجعاً. كأنهن، افتقدن الجامع والمحرّك.

مساران

مساران اعتمدهما غازي لحمل لواء القضية: مسار داخلي وآخر خارجي.

في احد الايام، لفت غازي الى ان "أهم ما حققته اعتصامات الخيمة هو اعتراف اللبنانيين بمختلف طوائفهم وأحزابهم بوجود قضية معتقلين في السجون السورية. لقد تحوّل هذا الملف وطنياً، عبر اعتراف الحكومة اللبنانية للمرة الاولى منذ 15 عاماً بوجوده، وعبر التزامها متابعة حلّه من خلال اللجنة اللبنانية - السورية المشتركة التي كان قد اتفق على تشكيلها الرئيس نجيب ميقاتي مع الرئيس بشار الأسد."

كان ذلك في 4 أيار 2005. تلك هي قوة غازي، هو نجح في ابعاد الملف عن اي تجاذبات حزبية او صراعات سياسية، لقد رفع ملف المعتقلين الى مصاف الملفات الوطنية، ولم يغرقه يوماً في الزواريب.

اكثر من تطوّر اقليمي وداخلي عاشه اهالي المعتقلين، من دون ان يلمسوا اي اثر ايجابي على قضيتهم. اشتعلت الحرب في سوريا. انتخب الرئيس ميشال عون رئيساً. مات غازي ولم تكلّف حكومة الرئيس سعد الحريري نفسها ولو لمرة واحدة، اثارة ملف المعتقلين والمخفيين، في بياناتها واجتماعاتها.

هناك في اقبية السجون، معتقلون. هناك تحت التراب، شهداء مدفونون.

وهناك ايضا، في مقابر جماعية، رفات مرمية. وفي ذكرى غازي، آن الاوان للانتهاء من هذا الالم. إن الوسام الذي وضع على نعش غازي، وحده لا يكفي!!!...